الأدب وطلقات المدافع

« إلى الصديق الأستاذ على متولى صلاح »

للشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

ما كنت أحسب أن شهوة الكلام تبلغ عند صديق الأديب الرقيق الأستاذ على متولى صلاح حدا يحرف به الكلم عن مواضعه ويؤول قصيدتى « على طلقات المدافع » تأويلا يبعد بها عن المعنى الذى أريدت له وقصدت به

وأنا أشكر الأخ على هذا الدرس الذى ألقاه على فى عدد الرسالة الفائت ليدلنى على قيمة « الأدب » وخطره ورسالته فى هذا الوجود العجيب الذى نشهد فيه بأعيننا ونسمع بأبصارنا على مدى قريب صوت القوة العارمة وهى تكتسح الحق فى طريقها اكتساحا ... ثم لا نزال بعد ذلك نتملل بالألفاظ الفارغة ، ونستند إلى العبارات الجوف ، واهمين أو متوهمين أن ذلك هو طريق الكفاح لبلوغ الأهداف ، وبلوغ المطاف

وأشكر الأخ مرة أخرى لأنه نقل إلى فى كلمته الحماسية كلمات « هازلت » فى وصف الكلمات بأنها « أفعال ، فإذا تكلمت فقد فعلت » . ونقل إلى كلمات « سارتر » بأنها — أى الكلمات — أسلحة نارية مشحونة بالقذائف ، وأن الإنسان إذا تكلم فقد أطلق .. ونقل إلى — فوق ذلك — كلاما لبرنارد شو ، ولغير برنارد شو فى الموازنة بين السيف والقلم ...

وهى موازنة أخشى أن تكون موضوعا إنشائيا جميلا لطلاب المدارس ، تصول فيه أقلامهم النحيلة الهزيلة ، وتجول حين يحلق الخيال بعيدا بعيدا ، مستسلما إلى لذائذ الأحلام ، الوشاة بتفويف الكلام ...

وهى موازنة — فوق سحر الخيال فيها — قد قال فيها أنصار منطق القوة كلمتهم حين نادى أبو تمام — منذ أكثر من ألف عام — برأيه المشهور :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

ولا ينبغى هنا أن تكون الكتب هنا من تأليف الكرام الكاتبين ، أو من وضع السادة المنجمين ...

على أن أبا تمام لم ينقل شأن « القلم » الذى جاءنا الأستاذ على متولى صلاح بنصوص منقولة عن « هازلت » و « سارتر » و « برنارد شو » ليدلنا على خطره وفتكه وشحنه بالقذائف . أو القنابل الصاروخية ، أو القنابل الذرية أو الهيدروجينية أو غير ذلك من آلات الدمار والهلاك ..

نعم ! لم ينقل الشاعر أبو تمام ، خطر القلم والكلام حين قال :

لك القلم الأعلى الذى بشباته تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعى القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

وأنا — شهد الله — لا أنكر خطر « الكلمة » وفعلها فى النفوس ، وأثرها فى المواطف ، وخطرها فى إثارة الانفعال ، بل فى زلزلة الجبال ..

أليست « الكلمة » هى من روح الله التى تجلت للجبل أمام موسى الكليم فجعلته دكا ، وخر موسى صعقا ؟

أليست « الكلمة » هى التى أوحت إلى النحل أن تسلك سبل ربها ذللا ، فتأكل من كل الثمرات ثم تلفظها شهدا شهيا فيه شفاء للناس ؟

فمن قال للصديق الكريم أننى هونت من شأن الكلام ، أو أصغرت من قدر الأدب والبيان حين ضننت بالأدب أن يبتذل بالاستجلاب ، أو يمتهن بالدماء المجاب أو غير المجاب ؟

إن الشعراء الصادقين — أيها الصديق — قد استجابوا لأصوات الشهداء فى معركة « القنال » بالقدر الذى لا يخرج بشعورهم النالى إلى رخص التمثيل ، وهوان التدجيل .. فقد نشر بعضهم فى الصحف ، وأذاع بعضهم فى الإذاعة المصرية ، ولم يشاءوا أن يجعلوا من « معركة التحرير » مناجاة حامية ترتفع فيها الأصوات الحارة بطلب السلاح ، وبالرغبة الخالصة فى الكفاح ، فيقال لهم : انتظروا حتى يتم الإشراف على الكتائب المحررة .. وما أشق الانتظار ، على المجاهدين الأحرار !

ولعلك أيها الصديق قد أدركت معى الظروف التى أحاطت

ني وأنا أنظم قصيدتي «على طلقات المدافع» ؟ فهي ليست كفرا بالأدب ، ولا جحودا برسالته ، ولا تهوينا من شأنه ، ولا إغفالا لخطره ، ولا سوء فهم لوظيفته ، ولا خروجا به عن طبيعته ... وإذا كنت قد فهمت من قصيدتي ومن مقدمتها هذا الفهم، وعبت منها هذا القول الصحيح، فأنا أجل أدبك وفهمك أن تكون الآفة فيهما .. ولكنك انسقت يا أخي وراء خلابة اللفظ ، وشهوة الكلام فأحببت أن تتكلم ، وأحببت أن تقيم دعاية عريضة « ارصف الألفاظ ، وحشد العبارات » . ونسيت أنني — وأنا طرف لك في هذه الخصومة الأدبية — أكره الكلام في غير جدوى ، وأمقت الألفاظ في غير طائل ، وأضع الكلام موضعه حين أريد أن أتكلم ، كما يضع الخبير الهناء مواضع النقب . .

لا يا سيدي ! لم تكن القصيدة التي نظمتها كفرا بالأدب ولكنها في الحق كفر «بالخطب» ، وكفر بالمقالات والكتب.. في وقت تمنت فيه سواعد الشباب والشيوخ لو أتيح لهـا أن تشمر ، ولكن (رُب) أن تعطل السواعد ، وأن تدبج بدلامها الخطب والقصائد !

ألست معي بأن نفوس الشعراء أونفوس بعض الشعراء كان يغشها ضباب هذه العوامل النفسية الخفية ، فوقفوا يتفرجون في صمت ، أو ينظرون في عجب ، حتى يزاح الستار عن الأسرار . . وإلا فبربك لماذا سكت أنت عن أحداث القناة وما عهدتك إلا ناطقا ؟ ولماذا لم نشترك في معركة « قنال السويس » بقلمك وأدبك في لحظة كانت أرواح الشهداء ودماء الأبرياء تتطلع إلى مثل « عباراتك » من وراء الغيب ، وتهفو إلى صرير قلمك من خلف الفراديس ؟

والآن وقد انجلى غبار معركة القنال عن بعض الشهداء الأعزاء أراك قد أمسكت « القلم » وامتطى في يدك الخمس اللطاف .. وأفرغت عليه شباب فكرك لكي تذكرني بما قاله « هازلت » و « سارتر » و « جورج برنارد شو » في القلم وقوته ، والبيان وسطوته

لا ، لا يا أخي ! لقد قرأت من زمان طويل ما قاله «هازلت» فنازلا ، و « سارتر » فصاعدا .. ولعلك خبير بتسلسل هذه المصور في فرنسا وإنجلترا .. ولكنني قرأت من أسابيع فقط ما كتبه الشاعر الإنجليزي المعاصر « ستيفن سبندر » في مجلة نيويورك تيمس بوك ريفيو الأمريكية The New York Times Book Reviev عن رسالة الشعراء في الحياة ، وهل نستطيع أن نعيش بدونهم .. ولذلك يا أخي قرأت خلاصة لهذا المقال في عدد نوفمبر سنة ١٩٥١ من مجلة « الكتاب » الشهرية التي تصدرها دار المعارف بمصر . . ولعله قد لا يعنيك أن تعرف مترجم هذا المقال الذي يستحي أن يتحدث عن نفسه ولكنني أؤكد لك أن قصيدتي « على طلقات المدافع » لم تكن صرخة يأس ولا صيحة قنوط .. ولكنها كانت نذيرا ، ونذيرا قويا لقوم يجهلون قيمة « المدافع » ، في عالم ملئ بالشهوات والمطامع

وسلام عليك أيها الصديق القديم ، والخل الكريم

محمد عبد الغني حسن

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

أحلى روائع القصص العالمي الواقعي
لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعري تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب ... وهي كآلام « فرتر » في دقة الترجمة وقوة الأسلوب ... طبعت أربع مرات وثمنها

٢٥ قرشا عدا أجرة البريد